بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٨) موجِّهاتٌ نَبويَّة لحِمايةِ المُجتمع وتحقيق ازدهار بشكل مستدام [١]

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

مُجتَمَعُ الإيمان هو المجتمعُ القويّ، الآمن، المبدِع، المنتِج، الذي تسودُه الأخلاقُ والقيَم الدافعةُ للتَّقدم والسَّلام الاجتماعي، "ويموج بالحياة والحركة والعمل والإبداع والإنتاج.. وتَختلطُ فيه صيحاتُ المآذن بضَجيجِ المصانع والآلات، وليس المجتمع الخامِل الساكن الضَّعيف أو المأزوم المهزوم، الذي يعيش عالةً على الآخرين في غذائه وكِسائه ودَوائه"[٢]. كما أشارَ إلى ذلك فضيلةُ الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله).

وقد علَّمَنَا النبيُّ الحكيم (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) مُقوماتِ إصلاحِ الفرد والأسْرة، وحمايةَ المجتمع الحسيَّة والبنائية، ونُشيرُ هنا إلى عددٍ من الموجِّهات النَّبوية الشريفة لحماية المجتمع، ومنها:

- مراعاةُ الحقوق العامَّة المنظِّمة للعلاقات الإنسانية بين الناس، واجتناب ما حرَّمَه اللهُ تعالى علينا، فعن البراء بن عازب (رضيَ اللهُ عَنْه) قال: "أَمَرَنَا النبيُّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) بسَبْعٍ، ونَهَانَا عن سَبْعٍ: أمَرَنَا باتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وعِيَادَةِ المَرِيضِ، وإجَابَةِ الدَّاعِي، ونَصْرِ المَظْلُومِ، وإبْرَارِ القَسَمِ، ورَدِّ السَّلَامِ، وتَشْمِيتِ العَاطِسِ، ونَهَانَا عَنْ: آنِيَةِ الفِضَّةِ، وخَاتَمِ الذَّهَبِ، والحَرِيرِ، والدِّيبَاجِ [وهو أفضَلُ أنْوَاعِ الحَرِيرِ وأنْفَسُها]، والقَسِّيِّ [وهي: الثِّيابُ المَصنوعَةُ مِن كَتَّانٍ مَخلُوطةٌ بالحَرِيرِ]، والإسْتَبْرَقِ [وهو الحَرِيرُ الغَلِيظُ]"[٣].

---

(١) راجع ذلك مفصلا: د/ أحمد علي سليمان: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، القاهرة، دار إشراقة، ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م، ص ١٨١-١٨٦

(٢) انظر: كتاب الدعوة الاسلامية في القرن الحالي لفضيلة الشيخ محمد الغزالي. راجع، دراستنا (بناء الداعية الموسوعي "علميًّا وتربويًّا وثقافيًّا ومهاريًّا") المقدمة للمؤتمر التاسع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الذي عُقد بالقاهرة تحت عنوان (بناء الشخصية الوطنية وأثره في تقدم الدول والحفاظ على هويتها)، خلال الفترة من ١٩ – ٢٠ يناير ٢٠١٩م، ص ٧.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

● تجويدُ العمل وإتقانُه، والبَراعةُ والإبداعُ فيه، يقول (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ)(٤) وهكذا فإنَّ مَن يُتقن عملَه ويجوّدُه سيَحْظى بمحبَّة الله تعالى بدَلالةِ مَنطوق الحديث الشريف(٥). ولا ريبَ في أنَّ السبيلَ الأمثل لتقدُّمنا، وازدهارنا، وعلوِّ كَعْبنا، ومِن ثَمَّ حَجز المكانة اللائقةِ بنا بين الأمم؛ يَكمنُ في أدائنا الحضاريّ المتميز، ولن يحدثَ ذلك إلا بتمثُّل خلالِ التوضُّئ بالأخلاق النَّبوية، وأن نعيشَها، ونُعايشَها، وتعيشَ فينا على الدوام.

● الإيجابيةُ المستَدامة، وتَرسيخُها في نفس النَّشء منذ الصغر، بحيث يكون مسئولًا وإيجابيًّا في كُلِّ أقواله، وأفعاله، وأحْوالِه.. نافِعًا لنَفْسِهِ ولغَيْرِه.

ولقد علَّمَنَا الرسولُ العظيم أهميةَ العَمل المستَمر، والإبداع المسْتَمر، ومحاربة الكسَل والتَّواكل، والدَّفع بأتباعه قُدُمًا نحو العمل المستَدام، وعدم التوقُّف عنه مهْما كانتِ الظُّروف والأحوال، يقول (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (إنْ قامَتِ السَّاعةُ وفي يدِ أحدِكُم فَسيلةٌ فإنِ استَطاعَ أن لا تَقومَ حتَّى يغرِسَها فلْيغرِسْها)(٦).

لذلك فإنَّ تقدمَ المجتمع لا يمكن أن يقومَ على عاتقِ شخص، أو مجموعةٍ من الأشخاص؛ وإنما يتوقَّف على الأداءِ الحضاريّ المتميز لمجموع المواطنين، ومن ثَمَّ يجب إعدادُهم وتنميتُهم وتَدريبُهم المستَمر، وأن يكون الجميعُ على قلبِ رجلٍ واحد؛ لبناء الإنسانِ والأوطان، ومواجهة التحديات التي تواجهها.

● الموازنةُ بين الحقوق والواجبات، وتقديمُ المصلحة العامَّة التي تخصُّ الجميعَ على المصلحة الفردية التي تخصُّ فردًا أو مجموعةً من الأفراد، مع عدمِ الإضرار بأيِّ طرف، "وربط الحقوق بالواجبات؛ وذلك كلُّه ضمنَ مَنظومة عقديَّة وأخلاقيَّة، تَشمل الجميع، وتَحميها الدولة، وتسَنُّ لها التشريعاتُ اللازمة لضَمان تَطبيقها بما يدرأ المفاسدَ ويَجلبُ المصالح"(٧)؛ لتظلَّ عمارةُ الأرض والكون والحياة، وتحقيق الاستخلاف في الأرض، والأداء الحضاريّ المتميز، وترقية المجتمع، وتحقيق جودة الحياة، ورعاية الإنسان (الأسرة والأقارب والفقراء وأصحاب العوز والمحتاجين.. إلخ)؛ جزءً لا يتجزَّأ من رسالة المسلم في هذه الحياة.

● تَرسيخُ سُبل الكسب المشْروع وطرقه، وأخلاقيّاته، وطرق الإنفاق والادِّخار المشروع، وكتابة المعاملات المالية والديون والإشهاد عليها.. إلخ، وصيانة أموالِ اليتامى والضُّعفاء وحمايتها، وتَحريم العبثِ والإسراف في المال، وحماية المال العام والمال الخاص على حدٍّ سواء.

● الوفاءُ بصَداق المرأة، وأنَّ مَن تزوَّج امرأةً على صداقٍ، وهو ينوي أن يأكلَ صداقَها، لقيَ الله يوم القيامة وهو عليه غضبان.

---

(٤) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير.

(٥) راجع دراستنا: نحو إحياء قيمة العمل، منشور في العدد ١١٦٧ من صحيفة (الدعوة الإسلامية)، ليبيا، ١٣ مايو ٢٠٠٩م، ص ١٠.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد.

(٧) د زينب عبد السلام أبو الفضل: موسوعة عناية القرآن بحقوق الإنسان.. دراسة موضوعية وفقهية، ج٢، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨م، ص ٣١ – ٦٥ بتصرف.

● مساعدةُ الضُّعفاء، والتَّيسير على المعْسِرين؛ ببَذلِ القَرض من الموسِرِ للمُحتاج من دون فائدة، ومن الإحسانِ أن يكون مفتوحًا حتى يصيرَ المحتاج مَيْسورًا، ولا شكَّ في أنَّ التنازلَ عن القرض عند الإعسار يُعدُّ من قِمم الإحسان عندئذ، يقول تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨٠).

● النَّهيُ عن سائر المعاملات المؤجِّجة للخلاف والتَّباغض بين الناس، فعن أبي هريرة (رضيَ اللهُ عَنْه) قال: "نَهَى رَسولُ اللَّهِ (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) أنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، ولَا تَنَاجَشُوا، ولَا يَبِيعُ الرَّجُلُ علَى بَيْعِ أخِيهِ، ولَا يَخْطُبُ علَى خِطْبَةِ أخِيهِ، ولَا تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ ما في إنَائِهَا"(٨).

وهكذا أسَّسَ النبيُّ الحكيم (عليه الصَّلاة والسَّلام) بهذه التوجيهاتِ العظيمة موجهاتِ صَلاح المجتمع وإصلاحِه، ومن ثمَّ اقتلاع شأفَة شتَّى المُعاملاتِ المؤجِّجة للتَّباغُضِ والصِّراعات بين الناس في المجتمع؛ فنَهَى أن يبيعَ الحضَرِيُّ سلعةَ البَدوي –ومَن على شاكلته من البائعين الذين يأتونَ إلى المدن أو الحضر من أماكنَ نائية– فهذا أقرَبُ إلى مَصلحةِ النَّاسِ؛ فإذا باعَ الحاضرُ –الذي هو مِن أهل المدينة– شدَّدَ على النَّاسِ ورفعَ الأسعار عليهم، وأمَّا البادي –الذي جاء مِن البادية أو مِن أماكن نائية– إذا باعَ بنَفْسِه كان أرْخَصَ للناسِ.

كما نَهى النبيُّ عنِ النَّجْشِ؛ وهو أنْ يَزيدَ الشخص في ثَمَنِ السِّلعةِ وهو لا يَرغَبُ في شِرائِها؛ لِيَخدَعَ غيرَه ويَغُرَّه.

ونَهى أنْ يَبيعَ الرَّجلُ على بَيعِ أَخيه في زَمَنِ الخِيارِ، كأن يقول للمشتري: افسَخِ العقدَ لِأبيعَ لك بثمنٍ أقلّ من الثَّمن الذي اشتريت به، أو يقولَ لِلبائعِ افسخِ العقدَ لِأشتريَ منك بثمن أعلى.

كما نَهى النَّبيُّ الحكيمُ أنْ يَخطُبَ الرَّجلُ على خِطبَةِ أخيهِ المسلمِ، بأن يزيدَ في المهْرِ على مَهْر الخاطب، أو غيرِ ذلك مِن وَسائلِ الإغراءِ الخسيسَة.

كما نهى عن أن تَطلُب المرأةُ مِن زَوجِها أنْ يُطلِّقَ ضَرَّتَها؛ لِتَستأثِرَ بِخَيرِ زَوجِها وحْدَها وتَحرِمَ غيرَها حقَّها.

● النَّهيُ عن الإسراف والتَّبذير والبُخل والأثرَة والشُّح وإضاعة المال بإنفاقه في غير محلِّه ولو كان قليلًا.

● النَّهي عن تَكديس الأموال وتَجميدِها، والنَّهي عن الرِّبا باعتبارها أحدَ أخطر الأمراض الاجتماعية التي تمثِّل أسوأ صورِ استغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

● النَّهيُ عن الغشّ والخداع بشتَّى صوره وأشكاله، وقد أعلنَها نبيُّنا العظيم مُدوّيةً في سَمع الزمان: أنَّ مَن غشَّ فليس منَّا. نعم.. لقد مرَّ النبيُّ (صلَّى اللَّهُ عليهِ وآلِه وسلَّمَ) في الأسواق ذاتَ يومٍ فوجد رجلًا يضع الطعامَ

(٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

الجيد في أعلى الوعاء؛ ليَظهرَ للناس، ويضعُ الرَّديء في أسفلِه؛ ليُخفيه عنهم، فقال (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) له: (مَن غشَّ فليسَ مِنَّا)[٩].

أي: مَن غشَّ أيَّ إنسان، كائنًا مَن كان، مسلمًا كان أو غير مسلم، أسود أو أبيض، غنيًّا أو فقيرًا، رجلًا أو امرأة.. إلخ؛ فليس منَّا، ويا لَها من مبادئ عظيمة تلك التي أرساها رسولُ الإنسانية، التي تمثِّلُ قمةَ الرُّشد الحضاري.

- الوفاءُ بالدَّين وحقوق الآخرين، فعنْ أبي هريرة (رضيَ اللهُ عَنْه) قال: قال رسول الله (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ): (مَن أخَذَ أمْوالَ النَّاس يُريدُ أداءَها أدَّى اللَّهُ عنْه، ومَن أخَذَ يُريدُ إتْلافَها أتْلَفَهُ اللَّهُ)[١٠] وهنا إشادةٌ نَبوية بِفَضل المَدين الذي يَنوي الوَفاءَ بدَينِه، ووعيدٌ شديدٌ لِلمَدين الَّذي يَنوي أكلَ مالِ دائنِه وعدَمَ سَدادِ دَينِه.

- حمايةُ الجار وإكرامُه والحفاظُ عليه والوصيةُ الكاملة به: يقول (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُكرِمْ جارَه)[١١]. وعن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) أنَّ رسول الله (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) قال: (مازالَ جِبْريلُ يُوصِيني بالجار، حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ)[١٢] فقد أخْبَرَ النَّبيُّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) أنَّ جِبْريلَ عليه السَّلام كرَّر عليه الوصيَّةَ بالجار، وهو القَريب مِن الحى أو الدار، قَريبًا كان أو أجنبيًّا، مُسلمًا كان أو غير مسلم، وذلك بالإحسانِ إليه، ورِعايةِ ذِمَّته، والقِيام بحُقوقِه، ومُوَاساتِه في حاجتِه، والصَّبر على أذاه، ولِكثرةِ ما أَوْصَى جِبْريلُ عليه السَّلام بالجارِ، ظنَّ النَّبيُّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) أنَّ اللهَ تعالَى سيُشركُ الجارَ في مِيراثِ جاره، بحيثُ يكونُ الجوارُ أحدَ أسبابِ الإرثِ، ويا له من إعلاءٍ عظيم لقيمَة الجوار، واعْترافٍ بمتانَة هذه العلاقات بين المتجاورين.

- ومِن المقوّمات البِنائية لإصلاح الفرد والأسْرة والمجتمع تَفريجُ الكُروب والتَّيْسير على الناس، فعنْ أبي هريرة (رضيَ اللهُ عَنْه) قال: قال رسولُ الله (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ): (مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِن كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِر، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ)[١٣].

فاللهمَّ وفِّقنا لكلِّ خَير، واجعلِ الخيرَ يعيشُ معنا، ويتحرَّك معنا، ويَسيرُ مَعنا أيْنما سِرْنا... اللهمَّ وَضِّئنا بأخلاق نبيِّكِ العظيم، ومتِّعنا بزيارته ورؤيتِه ونَيْل شفاعتِه، وابذرْ بذورَ الخير والحبِّ والإيمان في قلوبِنا يا أكرمَ الأكرمين... يا ربَّ العالمين.

---

(٩) صحيح الترغيب.

(١٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١١) أخرجه الحافظ ابن حبان.

(١٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

***

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصِّيَامَ وَالقِيَامَ وَصَالِحَ الأَعْمَالِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ... اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَهْلِيكُمْ وَأَنْجَالِكُمْ وَأَحْفَادِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ أَجْمَعِينَ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالحُبُورَ، وَالسَّعَادَةَ العَامَّةَ التَّامَّةَ الكَامِلَةَ الشَّامِلَةَ الدَّائِمَةَ المُسْتَقِرَّةَ المُسْتَمِرَّةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ... نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا، وَلِمُجْتَمَعِنَا وَلِشَعْبِنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ مِصْرَ شَرْقَها وَغَرْبَها، شِمالَها وَجَنوبَها، طُولَها وَعَرْضَها وَعُمْقَها، بِحارَها وَسَماءَها وَنِيلَها، وَوَفِّقْ يا رَبَّنا قِيادَتَها وَجَيْشَها وَأَمْنَها وَأَزْهَرَها الشَّرِيفَ، وَعُلَماءَها، وَاحْفَظْ شَعْبَها، وَبِلادَ المُحِبِّينَ يا رَبَّ العالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ على سَيِّدِنا وَمَوْلانا مُحَمَّدٍ، وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

خادم الجناب النبوي

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها: (الدكتور أحمد علي سليمان)؛ يضمن لك كل جديد /https: //www.facebook.com/drahmedalisoliman